

المسجد والثقافة البيئية

THE MOSQUE AND ENVIRONMENTAL CULTURE
LA MOSQUE ET LA CULTURE ENVIRONNEMENTALE

فيصل ذيب.

تاريخ النشر: 2020/07/01

تاريخ القبول: 2019/06/17

تاريخ الإرسال: 2019/05/14

ملخص: يعد المسجد من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة، لما له من مكانة روحية وعقدية، وتأثيرات في جميع مناحي حياة الإنسان المسلم، وعليه فهذا الأخير يعتبر المسجد مكانا مقدسا لأنه المكان الوحيد المعبر عن علاقته بربه. فدور المسجد في الإسلام أن يكون منبع الإرشاد والوعظ وتبيان حقائق الوجود الإنساني، إضافة إلى تنظيم حياة الإنسان المسلم في جميع المجالات، ولعل البيئة تعد من أهم محاور الاهتمام التي يجب أن يوليها المسجد في تنظيم حياة الناس، وبهذا يمكن أن يتحلى بثقافة بيئية مستمدة من تعاليم الإسلام تمكنه من القيام بذلك.

الكلمات المفتاحية: المسجد؛ التنشئة الاجتماعية؛ الإسلام؛ البيئة؛ الثقافة البيئية.

Abstract:

The mosque is considered one of the most important socializing institution in Muslim societies, due to its spiritual and creed status, as well as its influences in all aspects of a Muslim's life. It is considered a sacred place where Muslims express their relationship with their Lord. The role of the mosque in Islam is a source of guidance, preaching and explaining the reality of human existence, in addition to organizing the Muslims' life. Perhaps the environment is one of the most important areas to which the mosque should pay attention in organizing people's lives. So, Muslims can have an environmental culture derived from the teachings of Islam.

Key words: mosque, socialization, Islam, environmental culture.

Résumé :

La mosquée est l'une des institutions de socialisation les plus importantes dans les sociétés musulmanes en raison de son importance spirituelle et son influence sur tous les aspects de la vie des musulmans. C'est pourquoi ces derniers considèrent la mosquée comme un lieu sacré, car c'est le seul lieu où ils expriment leur relation avec le Seigneur. Le rôle de la mosquée dans l'Islam consiste à guider, à prêcher et à expliquer les réalités de l'existence humaine, ainsi que l'organisation de la vie des musulmans dans tous les domaines. L'environnement est peut-être l'un des domaines d'attention les plus importants que la mosquée doit accorder à l'organisation de la vie des gens, et ainsi elle peut afficher une culture environnementale dérivée des enseignements de l'Islam.

Mots clés : Mosquée ; Socialisation ; Islam ; Culture Environnementale

Dib fayçal, department of sociology: Algeria, dibfaycal96@yahoo.fr

تعد الثقافة البيئية من أهم القضايا التي يجب أن يوليها الإنسان أهمية كبيرة، لأنها السبيل الأمثل الذي يمكن من خلاله حماية البيئة التي أصبحت مهددة بشكل واضح من خلال اختلال النظام البيئي الذي نلاحظه اليوم، وذلك بسبب الاستغلال اللاعقلاني والمفرط لمواردها من طرف الإنسان، وقد اهتم العلماء باختلاف تخصصاتهم العلمية بقضايا البيئة ومنهم علماء الاجتماع الذين يحاولون دراسة المشكلة البيئية بأبعاد اجتماعية محاولين تحديد وفهم وتفسير العلاقة الارتباطية التأثيرية بين البيئة الطبيعية والإنسان، حيث إن الأمر الذي ركز عليه كل العلماء وصناع القرار هو أن نشر الثقافة البيئية وترسيخها وتأصيلها في كل المجتمعات خطوة لا مناص منها للحفاظ على البيئة.

وقد اهتم الدين الإسلامي بالبيئة وثقافتها وذلك من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث تناولها بكيفية معجزة محكمة ودقيقة، كيف لا والمصدر هو الله سبحانه وتعالى، فهو من خلق هذه البيئة ووضع قوانينها ونواميسها ونظامها، والشيء الذي ميز الطرح الإسلامي لقضايا البيئة هو اهتمامه ببعدين أساسيين هما البعد المادي والبعد الروحي، أما البعد المادي فقد اهتم به كذلك العلماء ورجال السياسة والحكومات والهيئات المختصة، لكنهم أهملوا البعد الثاني وهو الأكثر أهمية، حيث إننا عندما نقول الثقافة البيئية فإننا نعني بدرجة أولى الاهتمام بالبيئة من جانب روحي عقدي، لأن الثقافة هي أمر ذاتي داخلي ذهني، أي يجب أن نهتم فيها ونركز على الفكر والذهن والشعور والعاطفة، أي الجانب الروحي والمعنوي، والذي يفضي كتحصيل حاصل إلى الاهتمام بالجانب المادي للبيئة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال مؤسسات ومراكز تتمثل بصفة خاصة في مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة ودور الثقافة ودور العبادة بصفة خاصة

إن التنشئة الاجتماعية الإسلامية هي من أكثر أنواع التنشئات قوة وتأثيراً على سلوك الفرد المسلم عبر مراحل العمرية، لأنها لا تتوقف عند واحدة منها ولا تقتصر على مكان واحد (أسرة، مسجد، مدرسة)، بل تشمل جميع المراحل العمرية ومعظم الأماكن التي ينشأ فيها الفرد، بذات الوقت هي من أقوى الضوابط الاجتماعية للسلوك الإنساني: روحية المشجع ووجدانية المنبت وإنسانية المنال.

ولعل المسجد هو أهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، لما له من مكانة مرموقة لدى الشعوب المسلمة، حيث إنه بيت الله في أرضه ومكان لإعلان العبودية له ومقر لعباده المتقين، فيه يتربى المؤمنون، ومن محرابه يتزودون بالإيمان، ومن فوق منبره يُدكَرون ويُصحون ويُدْعَوْنَ إلى الخير، وفي ساحته يتلقون العلم ومعرفة الحلال والحرام، وبين جدرانهم يحسون بنعمة الأخوة والألفة والوئام والتكافل الاجتماعي، فَتَرَكُوا نفوسهم، وتطيب قلوبهم وتُمَلَّى رحمة وحناناً على بعضهم وعطفاً على فقيرهم ومعوزهم، وتتفاعل أشخاصهم فتنتقل متعاونَةً فيما بينها على البر والتقوى في كل أمر من شأنه الصلاح، ويحقق للمجتمع الفلاح وللأمة النفع والخير والنجاح. ففي المسجد يتدارس المؤمنون شؤون حياتهم، ومنه ينطلقون في الحياة، ومن ساحته ينتشرون لعمارة الدنيا على مقتضى أمر ربهم، فيجمعون أمور الدنيا ومتطلباتها، والآخرة وما يقرب إلى نعيمها، وهكذا أصبحت المساجد بهذه المعاني الراقية ركيزة اجتماع ومنهل ثقافة، ومكان عبادة ومقر قيادة وإدارة وسياسة.

ومنه يمكننا أن نعتبر المسجد أهم مؤسسة تنشئة اجتماعية في المجتمعات الإسلامية، يمكنها أن تقوم بدور نشر الثقافة البيئية، خاصة وأن قضية البيئة قد عالجها الإسلام ببعديها الروحي والمادي، في حين أن كل المعالجات لقضية البيئة لم تعتمد إلا على البعد المادي، وهذا ما جعل الحلول والبرامج المسطرة في هذا المجال لا تحقق أهدافها، وذلك لإهمالها للجانب الثقافي للبيئة، وعليه فإننا سنتعرض في هذا المقال إلى المسجد كمؤسسة اجتماعية إسلامية ودوره في نشر الثقافة البيئية، فإلى أي مدى يمكن للمسجد أن يقوم بدور نشر الثقافة البيئية؟

1- المؤسسة المسجدية:

1-1- المكانة الاجتماعية للمؤسسة المسجدية:

يستمد المسجد مكانته السامية وشرفه العظيم من صلته بالاسلام، وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية باعتباره وسيطا وكونه رمزا وشعيرة من شعائر الاسلام، أمر الله عباده ببنائه ورفع عماده، كما أمرهم أن يحققوا عمارته الحقيقية بعبادته فيه، ويستمد مكانته أيضا من كونه مضافا الى الله سبحانه وتعالى باعتباره بيته الذي وضعه لعباده لاختلاص العبودية له، بما خص الله عز وجل نفسه بأنواع العبادات القولية والفعلية والعقدية. (معن خليل العمر، 2004، ص. 193) ومن مكانة المسجد العظيمة بما حواه من معاني الصلة بين العبد وربّه، بما فيه من أنواع العبادات المحضة له عز وجل، وغيرها من العبادات المأمورة بها تأتي مكانة المسجد الاجتماعية ومقامه في مجتمع المسلمين باعتباره مركز التجمع ونقطة الانطلاق لكثير من أعمال الحياة الاجتماعية. (الوشلي، 1990، ص ص. 13-14) فهو مصدر توجيه المجتمع إيمانا ماديا، وهو مؤسسة للعلم تعلمًا وتعليمًا، وهو ندوته الأدبية تسلية وترويحًا وشحذاً للهمم ورفعاً للمعنويات.

والمسجد مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم يجتمعون فيه في اليوم أكثر من خمس مرات وهو محل تشاورهم وتنصيحهم ومنبع تعاونهم على الخيرات، وقد ارتبطت بوظيفة الصلاة وصفوفها، والتي هي من أولى وظائفه وأهمها، مثلًا اجتماعية هي لب الإسلام يتدرب عليها المسلمون في اليوم خمس مرات، والتي في مقدمتها النظام والقُدوة، ومعالجة الأنانية، وإزالة الفوارق الطبقية، وكيفية التلاحم في البناء للمجتمع المسلم، من خلال رص الصفوف وانتظامها ببعض، حتى يشكلوا البناء المرصوص الذي أحب الله عز وجل به عباده كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِنَانٍ مَرْصُوصٌ﴾ (سورة الصف، الآية: 4)، وغير ذلك من المعاني الاجتماعية الكريمة الشريفة النظيفة. ولذلك كان المسجد يحتل مكانة عظيمة عند المسلمين وفي مجتمع الإسلام، كيف لا وهو يمثل حقيقةً إحدى ركائزه التي لا يقوم بدونها من أول الأمر الذي أقيم فيه مجتمع الدين الحنيف، ملة أبينا إبراهيم -عليه السلام- الذي سَمَّانا المسلمين من قبل، ونلاحظ أنه لما تكونت أول أسرة مسلمة اللبنة الأولى لمجتمع الإسلام الحنيف بإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وأهلهما، أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم ببناء الكعبة الشريفة في مكة المكرمة حتى لا ينفك المسلم عن المسجد الحرام. (الوشلي، 1990، ص ص. 17-18)

2- الثقافة البيئية في الإسلام:

إن الحديث عن الثقافة البيئية من المنظور الإسلامي، وعن واجب الحفاظ على البيئة وحمايتها، ينبغي أن يكون ضمن النسق الكوني العام الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى، فالإنسان سيد في الكون، عبد الله سبحانه، الذي سخر له هذا الكون، وكرمه بالعقل ليحسن استغلال ما سخر له، شكرا له سبحانه على نعمه، وتحقيقا لرسالة الاستخلاف في الأرض وعمارتها وفق سنن الله الماضية في خلقه.

وتجدر الإشارة هنا إلى تاريخ علاقة الإنسان بالكون والطبيعة، وفي منظور الفكر الوضعي، فهي علاقة صراع، واستمرار الوضع كذلك ردحا من الزمن إلى أن اضطر الفكر الحديث إلى التسليم بأنها علاقة تكاملية، بدافع من الشعور المتزايد بأن مصير الإنسان متوقف على سلامة هذه البيئة، أما من منظور الشريعة الإسلامية فإن هذه العلاقة حميمة وتعبدية في آن واحد، تنطلق أسس هذه العلاقة من مقاصد الشريعة التي جاءت أصلا لتحقيق سعادة الإنسان في الدارين (الدنيا والآخرة).

فلا غرابة إذن في هذه الحال، أن يسبق الإسلام ما توصل إليه اجتهاد المفكرين والعلماء المهتمين والمختصين في هذا المجال، ويتفرد بوضع فلسفة متميزة في النظر إلى البيئة والتفاعل معها، من خلال أبعاد متكاملة ثلاثة، البعد الغذائي الصحي الحياتي العام، والبعد الجمالي، والبعد التعبدي.

إن الكون صنع الله سبحانه وتعالى، والدين وحيه، ومثلما يتدبر الإنسان آيات الله في القرآن الكريم، فإنه كذلك يتدبر آياته سبحانه في الأنفس والآفاق، فكل شيء في الكون الفسيح والطبيعة البديعة، انطلاقا من الذرة وما هو أصغر منها، إلى أضخم مجرة في الفضاء الواسع آية من آيات الله، تدل على عظمته سبحانه وتسبح بحمده، خلقها كلها لحكمة، وسخرها للإنسان، لتوفر له شروط الحياة الصحية والنفسية والجمالية والتعبدية، فالمؤمن ينظر إلى مخلوقات الله كلها على أنها آيات، وأمم وواجب للإنسان أن يتعامل معها جميعا، وفق تعاليم الشريعة الإلهية، التي تحثه على أن يجعل نعمة التسخير هذه في إطار الدعوة إلى التأمل والتدبر وحسن الاستغلال والانتفاع والشكر.

إن الحديث عن ثقافة البيئة يكتسي اليوم أهمية بالغة، فكلنا يعلم أن الهيئات والمنظمات الدولية الخاصة بحماية البيئة ما فتئت تدق ناقوس الخطر لتوجه الأنظار إلى التدهور البيئي الذي يشهده عالمنا اليوم، هذا التدهور الملاحظ في مجالات حيوية عديدة، سواء ذلك في تزايد أكسيد الكربون وانخفاض معدل المياه الباطنية، أو انقراض أنواع من الطيور والحيوانات وتناقص الغابات أو تقلص الغلاف النباتي والتصحر وما إلى ذلك، مما يجعل الحفاظ على البيئة من الضرورات الملحة التي يتوقف عليها مستقبل الحياة على كوكب الأرض، فإذا كانت كل المجتمعات البشرية اليوم معنية إذن بهذه الرسالة فإن مما لا شك فيه أن المجتمع الإسلامي مدعو أكثر من غيره إلى إعطاء المثل والقدرة في هذا المجال لما يفترض أنه يتمتع به من ثقافة أصيلة ووعي عميق بهذا الأمر، وإذا كان الإنسان عموما يرى في الحفاظ على البيئة واجبا ومسؤولية لأنها قوام حياته، فإن الحفاظ على البيئة في نظر المسلم هي مسؤولية وعبادة.

فالحفاظ على البيئة واجب، وعمل صالح، يثاب عليه صاحبه ويؤجر، ويأثم من يتهاون فيه، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » متفق عليه.

فمن الواجب إذن أن نبث هذا الوعي وننشر هذه الثقافة البيئية في المجتمع لتتجسد ثمارها في مختلف مستويات الواقع المعيش، سواء في المحيط السكني الخاص أو في مستوى المحيط البيئي العام، فالنظافة مثلا التي هي من الإيمان ينبغي أن يتجاوز مفهومها النظافة البدنية ونظافة البيوت، ليشمل بالأهمية نفسها تنظيف الطرقات والساحات العامة، والمحيط بشكل عام.

هذا ولا شك في أن الأئمة القائمين على المساجد باعتبارها أكثر المؤسسات فعالية في التأثير والتوجيه مدعوون إلى نشر هذه الثقافة البيئية، وبث الوعي بالحفاظ عليها وحمايتها، سواء عن طريق خطب الجمعة والدروس المسجدية، أو من خلال دروس التعليم القرآني للأطفال وكذا الدروس الموجهة للنساء، والمعارض، والمجلة الحائطية المسجدية، هذا إلى جانب ما يمكن بثه في هذا المجال عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، المسموعة منها والمرئية والمكتوبة، مع التركيز على الجانب العلمي، مع الإشارة هنا إلى أننا نعني بالثقافة البيئية مفهومها الشامل، بدءًا بالمحافظة على نقاوة الغلاف الجوي، والثروة المعدنية، إلى حماية الثروة المائية إلخ...

وليس هناك من شك إذن في أن نشر الثقافة البيئية وبث الوعي بضرورة الحفاظ عليها من شأنه أن يحمل المواطنين على الإحساس أكثر بهذه الأهمية وبهذا الواجب، ولكن الاكتفاء بالوعظ والتوعية والتوجيه قد لا يجدي إذا لم يعزز ذلك كله بقوانين يحمل الناس على احترامها ويعاقب من يخالفها.

وهناك ظاهرة تستوجب الاهتمام، وهي أننا عندما ننتقل إلى المجتمعات الغربية التي تطبق القانون بصرامة على من لا يحافظ على البيئة فإننا نكون من أكثر الناس احتراماً لهذه القوانين، لكننا عندما نكون في أوطاننا ومجتمعاتنا فإننا نتهاون ولا نرعى للبيئة حرمة، فلا بد من قانون صارم يحمل الجميع على احترامه، وفيما روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه - قال: " أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن". (د. بوعبد الله غلام الله، 2008، ص 3-4).

3- المؤسسة المسجدية والثقافة البيئية:

إن موضوع الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها من التلوث والمشكلات البيئية الأخرى، ضرورة يجب أن تشغل قدراً كبيراً واهتماماً لا متناهياً من طرف كل إنسان يعيش على وجه البسيطة، وخاصة صناع القرار في جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة، إيماناً بأن الإنسان هو الغاية والوسيلة في الوقت نفسه، وهدفه استغلال الموارد الطبيعية من أجل حياة أفضل، هذا ما جعل العلماء والمفكرين والسياسيين يركزون على ما يسمى بالثقافة البيئية، بهدف بناء وتكوين الإنسان الواعي والمثقف بيئياً وتقنيا وفق قيم وأخلاقيات إنسانية راقية، لهذا أخذت الثقافة البيئية مفهوماً شاملاً يشكل بعداً أساسياً للنظام التربوي ككل، وأصبحت النظرة إليها كمنهج تربوي لتكوين الوعي لدى كل الفاعلين الاجتماعيين داخل المجتمع، إضافة إلى زرع القيم وتكوين المهارات والاتجاهات التي تنظم سلوك الأفراد وتمكنهم من الإسهام الحقيقي والفعال في حماية البيئة وحل مشكلاتها. ومفهوم الثقافة البيئية يتسم بالشمولية لمقومات التربية البيئية من جهة، وبالتكاملية بين

هذه المقومات لتحقيق أهداف هذه الثقافة، متجسدة في آخر المطاف في محاكمة الإنسان الفكرية للظواهر البيئية، وفي مواقف وسلوكه الاجتماعي تجاهها.

إن المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئة، ليست فقط عبارة عن دراسات لأنشطة الإنسان أو السيطرة على العمران وبناء الحضارات الإنسانية، بل يتعدى ذلك إلى دراسة النظم الاجتماعية التي تعطي للمكان خصائصه، أي تضيف عليه طابعه الخاص، وبالتالي فهذه النظم هي التي توجه الإنسان للتكيف مع الطبيعة، وتعبير آخر هي دراسات للعلاقات الارتباطية التأثيرية بين الإنسان والطبيعة.

لقد أوجد الإنسان المؤسسات والنظم الاجتماعية التي تضمن له التكيف مع الطبيعة وإشباع حاجاته الأساسية، حيث أنشأ النظم الاقتصادية والسياسية والتربوية والأسرية، إضافة إلى التكنولوجيا والصناعة وما صاحبها من مشروعات صناعية والتي تظهر آثارها ونتائجها واضحة للعيان. إن هذه النظم والمؤسسات أدت إلى آثار سلبية ملحوظة أخلت بالتوازن في النظام البيئي، وأصبحت حياة الإنسان مهددة بالخطر.

وهنا يهتم المدخل السوسيولوجي بتفاعل الإنسان والنظم الاجتماعية المختلفة مع البيئة، وآثاره ونتائجه عليها، حيث يهتم بتأثير ممارسات الإنسان على البيئة ومحاولة سيطرته عليها لإشباع حاجاته اللامتناهية من جهة، ومن جهة أخرى الاهتمام بمدى تأثير البيئة الطبيعية على النشاط الاقتصادي والاجتماعي للإنسان، أي دراسة علاقات التأثير المتبادلة بينهما.

وعليه فإن المسجد كمؤسسة اجتماعية أو كنسق اجتماعي له دور كبير في نشر الثقافة البيئية في المجتمع المسلم، وعليه فإن دراستنا تعتمد أساساً على الاتجاه الوظيفي كنظرية اجتماعية تحوي نظريتي النسق الاجتماعي والدور، وفي هذا السياق سنحاول تبين وظيفة المسجد كنسق اجتماعي في المجتمع المسلم ودوره في نشر الثقافة البيئية .

ولعل أساليب التنشئة الاجتماعية الإسلامية التي تعرضنا لها آنفاً، يجسدها المسجد كأهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، لأنه يعتمد في عملية التنشئة على الجانب العقدي للأفراد ومنه على التصور الثقافي لحقيقة القضايا والأشياء، ومن خلال ذلك الاهتمام بالسلوك ومحاولة تهذيبه وتعديله وذلك في جميع القضايا المتعلقة بحياة الإنسان المسلم، وبصفة خاصة في دراستنا هذه والمتعلقة بنشر الثقافة البيئية للوصول إلى سلوك مهذب وعقلاني حيال البيئة.

وتكون وظيفة المسجد مكمل لوظائف الأنساق الاجتماعية الأخرى في المجتمع من خلال دوره في نشر الثقافة البيئية، ومن خلال هذا التكامل الوظيفي تكون لدينا ثقافة بيئية راسخة في المجتمع ومنه نحصل على سلوك معتدل حيال البيئة والحفاظ عليها وحمايتها، ويتجسد هذا الدور الوظيفي للمسجد من خلال مجموع أدوار الأفراد الذين يشغلون مناصب داخل المسجد بدءاً بالإمام، ثم جمعية المسجد، والمؤذن والقيم... إلخ.

ويكون دور هؤلاء الأفراد الذين يشغلون أدواراً داخل المسجد في نشر الثقافة البيئية، من خلال خطب الجمعة وحلق الدروس من طرف الإمام، إضافة إلى القيام بنشاطات تطوعية للنظافة والقيام مثلاً بتنظيم مسابقات لأنظف وأجمل حي، تشرف عليها جمعية المسجد بالتنسيق مع الإمام والأعضاء الآخرين العاملين بالمسجد، وذلك بهدف خلق وعي بيئي، ونشر وترسيخ الثقافة البيئية لدى الفرد المسلم.

ويتمحور دور المسجد في نشر الثقافة البيئية من خلال الأفراد القائمين عليه، أساسا على مستويين أساسيين هما المستوى التصوري والمستوى السلوكي.

3-1- المستوى التصوري:

إن أي عمل بشري أو حركة تغييرية بشرية، لا بد أن تستند إلى التصور الذي يحدد عالمها ويرسم طريقها، وهذا التصور الذي هو بمثابة السكة التي يعبر عليها السلوك البشري في حركة التغيير.

ولترسيخ الثقافة البيئية من خلال المستوى التصوري للبيئة، يركز أساسا على أهم قضية وهي العقيدة الإسلامية، والتي هي أولى الخطوات التي يجب على المسجد أن يركز عليها لترسيخ الثقافة البيئية، وذلك بتبيان البعد العقدي للبيئة في الإسلام وذلك من خلال الأفراد القائمين على المسجد، وخاصة منهم الإمام في خطبه ودروسه وحلقه داخل المسجد بالتركيز على دعائتي العقيدة الإسلامية وهما: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر.

3-1-1- الإيمان بالله :

إن كلمة "الأرض" في القرآن جاءت موضحة عبر سياقين هما: سياق النشأة، سياق الملكية والاستخلاف، فاتضح لنا من خلال ذلك أن الله عز وجل كما تشير العديد من الآيات هو الخالق للبيئة وعناصرها والمهيمن عليها، وهو سبحانه وتعالى واضع القوانين والنواميس الكونية التي تكفل حفظ التوازن فيها، وهو وحده عز وجل الذي يكفل لكل عنصر من عناصر البيئة أن يؤدي دوره المحدد له في صنع الحياة، وذلك كله عبر توافقية وانسجامية غاية في الدقة، فكل ما في الكون كما خلقه الله، يخضع لدورة حيوية رسمها الخالق عز وجل، تتسم بالدقة والاتزان، وهي جميعا في متناول إحاطته وعلمه وقدرته عز وجل.

فيتضح لنا أن السماوات والأرض وما فيهما جميعا، ملك لله عز وجل خلقا وتديرا وعبادة، أما الإنسان فهو خليفة الله في أرضه ووصيه عليها، أما ملكية الإنسان لهذه البيئة فهي ملكية عارضة، سرعان ما تؤول إلى مالكة الحقيقي وهو الله تعالى.

ويعلم الإنسان المسلم أنه مستخلف في الأرض، وأنه سيد فيها بتمكين الله تعالى له، فيسعى إلى تحقيق الغاية الأسمى من وجوده وهي عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض وفق ما شرع الله، هذه العبادة والعمارة التي في معناها الشامل تعني الالتزام الشامل بمنهج الله وشريعته، وفي كل مجالات النشاط الإنساني، وفي التعامل الإنساني مع كل عناصر البيئة. (زيدان، 2004، ص. 104)

3-1-2- الإيمان باليوم الآخر:

يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص، الآية: 77).

الإيمان بالآخرة هو الركن الأساسي من أركان الإيمان، وله الأثر البالغ في بناء علاقة الإنسان المسلم بالبيئة، وفق علاقة التوافق والاستثمار.

ويعد الاستخلاف في الإسلام، شرطاً من شروط النجاة من العذاب في الآخرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (سورة الكهف، الآية: 110).
فالآخرة تعد محمداً وموجهها للحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، الآية: 115).

فلما يؤمن الفرد المسلم بأن هناك يوم حساب وعقاب، وأن هذه الحياة الدنيا هي دار عمل للدار الآخرة، وأن من عمل وأصلح في هذه الحياة الدنيا، فستكون عاقبته الحسنى يوم القيامة، وأما من طغى وأفسد في هذه الدار الدنيا فسيكون من أصحاب الجحيم.

ومن هنا يعلم الفرد المسلم بأنه من الواجب عليه شرعاً أن يقوم بأداء واجب الاستخلاف كما أمر الله وشرع، وأن يقوم بعمارة الأرض كما أمره الله، فإذا أداها على حقها فاز ودخل الجنة، وإذا ما فرط فيها فيجازى على تفريطه، قال تعالى: ﴿... ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ (سورة الأعراف، الآية: 129).

وأنه من أسوأ التفريط، الفساد في الأرض، الذي اعتبره الله تعالى من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، حيث سواه تعالى بقتل الناس جميعاً حيث قال: ﴿... من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً...﴾ (سورة المائدة، الآية: 32).

فيذكر الله تعالى العباد كي لا يعتوا في الأرض فساداً، فتكون عاقبتهم السوء، بل يسعى الإنسان بكل جهده لتعمير البيئة وعناصرها، لتعمير الأرض جميعاً وفق منهج الله وشرعه، ويتغنى بذلك فضلاً من الله ورضواناً، ويؤكد تعالى على أن الإصلاح من البر، والإفساد من الإثم، وكلاهما سيجازى عنهما العبد يوم القيامة. (كمال سليمان، 2005، ص ص 145-145)

إذن فمثل هذا التصور قائم على الإيمان بالله واليوم الآخر، يجعل علاقة الإنسان المسلم بالبيئة علاقة تآلف واستثمار عقلائي مهذب، وهو ما يميز التصور الإسلامي عن باقي التصورات البشرية والفلسفية، فالإلزام الرباني أشد وقفاً على قلب الفرد المسلم، وأسرع تطبيقاً، وارتضاء من فطرة الإنسان التي هو مجبول عليها، لذلك نجد الوقع الكبير في السلوك الإنساني المسلم، أما الإلزامات الإنسانية البشرية، فهي ضعيفة ضعف الإنسان والواقع خير دليل على تأكلها وتداعيتها.

3-2- المستوى السلوكي:

إن السلوك هو نتاج التصور، فبقدر ما يكون التصور صحيحاً، بقدر ما يعطينا سلوكاً صحيحاً سليماً، وهكذا كان نشر الثقافة البيئية في ضوء العقيدة الإسلامية، مرتكزاً على مستوى التصور الذي هو الإيمان بالله واليوم الآخر: هذا التصور الأصل، الصحيح والسليم، والثقافي في جوهره، والذي أورث لنا سلوكاً كان عبر شريعة الإسلام، بمثابة النموذج الفريد في المحافظة على البيئة.

فمن خصائص العقيدة الإسلامية أنها واضحة تمام الوضوح، لا مجال فيها للالتواء، كما أنها لا تحمل معاني الغش، وهكذا هم أصحاب العقيدة، واضحون في مفاهيمهم وتصوراتهم، كما أنهم واضحون في أهدافهم وآمالهم، وأساليبهم ووسائلهم، فهم لا يعرفون اعوجاجا في التصور، ومن ثمة لا يعرفون اعوجاجا في السلوك ولا في التصرف. فكما يقول أحد الباحثين الذين ألفوا في مجال التربية البيئية الإسلامية: "القيم الإسلامية البيئية في مجموعة الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض" (حجاب، 1999، ص. 135)

ونستطيع إبراز النموذج السلوكي الإسلامي حيال البيئة من خلال ثلاثة ركائز أساسية:

3-2-1- الحفاظ على البيئة:

إن الإسلام بعقيدته وشريعته هو الدستور الوحيد، الذي اهتم بحقيقة البيئة، واهتم بها وأرشد الإنسان إلى سبل التعامل الرشيد معها.

فحدد أولا أن البيئة هي الله تعالى ملكا وتقديرا وعبادة، وأنها متوازنة في دقة متناهية، ونجد أن أول من كشف عن نظرية التوازن البيئي هو القرآن الكريم، قبل أزيد من أربعة عشرة قرنا من الزمن، ويتبين ذلك من خلال آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (سورة القمر، الآية: 49)، وقوله تعالى: ﴿... وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ (سورة الحجر، الآية: 19).

فبين لنا الله تعالى نظرية التوازن البيئي على حقيقتها، فبين أن الكون أو البيئة وعناصرها، مخلوقة في اتزان دقيق دال على قدرته تعالى وسعة علمه، وأن البيئة بكل عناصرها مقدرة بقدرها الذي يضمن الحياة واستمرارها، وكل عنصر منها إلا وله دوره المناط به في دورة الحياة واستمرارها، وقد ذكر الله تعالى لنا ذلك، لكي يعلمنا نحن بنو البشر بأن نحافظ على هذا التوازن، فإن كل ذلك من نعمه تعالى على الناس لتستمر حياتهم. (النجار، 1999، ص. 143)

ثم نجد الإسلام في شريعته الغراء، سار إلى أبعد الحدود في وضع الأطر التي تحفظ البيئة وعناصرها، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ففي جانب المحافظة على الماء وما اتصل به من بيئة بحرية مثلا، نجد الإسلام يبدأ بذكر أهمية الماء وأنه أصل الحياة، فيقول تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾، أما عن النهي عن تلويثه فنجد أن الشرع قد نهى عن التبول في الماء الراكد، كما روي عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « لا يتبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»، رواه الإمام مسلم في صحيحه، ومن هنا يمكننا القياس وتوسيع الحكم على من يتخذ البحار والمحيطات مصارف للفضلات، ومصببات مجاري المياه القذرة، ومخلفات الصناعات الصلبة.

ونجد أن السنة الشريفة قد رسخت ذلك في قلوب الصحابة وسلوكهم، ومثاله ما روى عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: « ما هذا السرف يا سعد؟ » فقال: وهل في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: « نعم وإن كنت على نحر جارٍ ». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

فإرشادات كهذه الإرشادات النبوية الكثيرة، تكفل لنا بيئة سليمة مصانة، وإن طبقت في وقتنا لعدت من أنجح البرامج وأوقعها في النفوس البشرية.

ونجد أن الإسلام أيضا حث أتباعه على الرفق بالحيوانات، فكان السبق الزمني عن جمعيات الرفق بالحيوان، التي تدعي السبق في ذلك، ويتضح ذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي سنوردها فيما يأتي:

فقد حدثنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن امرأة دخلت النار في هرة، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، والحديث: حدثنا يحيى ابن بكير قال: حدثني مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار» قال فقال: «والله أعلم لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض». أخرجه البخاري في صحيحه.

وعن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال: عندما شاهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- جملا هائجا، قال: «من صاحب هذا الجمل؟»، فجاء رجل من الأنصار فقال: إنه لي يا رسول الله، قال: «أفلا تتقي في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه اشتكى إلى أنك تجيعه وتدئبه». رواه الترمذي في سننه.

وقد شرع لنا الله تعالى من خلال السنة النبوية بعض الأحكام الشرعية التي توصي وتحث على الحفاظ على البيئة الحيوانية، فبين لنا ما يجوز قتله وما لا يجوز قتله من الحيوان وما يجوز أكله ولا يجوز أكله، والمستفاد كذلك من هذه الأحكام الخاصة بالبيئة الحيوانية، الحفاظ على الأنواع الحيوانية من الانقراض لأنها جميعا تشكل مع باقي عناصر البيئة ما يسمى بالتوازن البيئي.

وأما فيما يخص البيئة الجوية، فنجد الإسلام والعقيدة الإسلامية قد وجهت سلوك الفرد المسلم، إلى الحفاظ عليها وعلى عناصرها، ونهته عن الإضرار بها، لأن في ذلك إضرار بحياته وحياة الناس جميعا، وقبل كل ذلك هو تعدي على الأمانة التي أوكلها الله إليه فحملها.

ف نجد الشريعة الإسلامية قد أولت الاهتمام بالغلاف الجوي، فبينت أهميته في قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾. (سورة الأنبياء، الآية: 32).

وهو ما أثبتته العلم حديثا، حيث أثبت أن الغلاف الجوي تكمن أهميته في حفظ الأرض من تسرب الأشعة الكونية الضارة.

وقد بين تعالى بأن الغلاف الجوي، مخلوق باتزان، يسير وفق قوانين وضعها الله تعالى له، لا يحيد عنها قيد أنملة، لكن إذا ما طعن الإنسان بشركه وضلاله على هذا الاتزان فسيحدث الفساد، وسيذوق الإنسان عاقبة ذلك وهو ما تحقق بالفعل، وما نحن نعاني من أكبر نتيجة للفساد البيئي في الغلاف الجوي وهو ثقب الأوزون، لذلك يعلم الفرد المسلم حقيقة الغلاف الجوي والبيئة الجوية، وأهميتها، وأنها نعمة من الله تعالى، فيحفظ النعمة ويشكر المنعم. (النجار، 1999، ص. 195)

وكذلك نجد أن الشريعة الإسلامية قد أولت أهمية الحفاظ على البيئة النباتية، وتنميتها والاستزادة منها، وقد جعلت الإفساد فيها وإتلافها أمراً لا يجوز شرعاً، ورعايتها وتنميتها عبادة يتقرب بها الفرد المسلم إلى الله عز وجل. فشجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عملية استصلاح الأرض الموات، وعملية الاستزراع، كما اعتبر زراعة الأشجار ذات الثمار والفواكه، من الصدقة الجارية لصاحبها، فهذا يشجع الفرد المسلم بأن يسلك مع البيئة النباتية سلوك الحفاظ والإنماء لها ليفوز برضوان الله في الآخرة ويأخذ الأجر، حتى ولو انقطع عن الدنيا. كما نجد ما يتحدث عنه في زماننا، عن ما يسمى بنظام المحميات، نجد الإسلام قد قرره وأجرى له الأحكام، عبر الوقت وغيره من قوانين القضاء الإسلامي كنظام الحسبة الذي كان يسهر على الحفاظ على البيئة نظيفة مصانة، وكان يراقب ويمنع بالزجر والعقوبة من تسوّّل له نفسه بإتلاف أي عنصر من عناصر البيئة النباتية. إذن فكل هذا البرنامج البيئي، شكّل لنا عقلية مسلمة ذات ثقافة بيئية إسلامية تتعامل مع البيئة برفق وصيانة لعناصرها في كل الظروف وفي كل الأوقات حتى في فترة الحروب.

ونجد هذا البرنامج البيئي مقارنا لذهن المسلم وتفكيره، لأنه ارتفع حتى صار أمراً مقروناً بالعقيدة الإسلامية، لذلك نلمس هذا الأمر الجليل في وصية أبي بكر الصديق ليزيد ابن أبي سفيان، والتي حق للتاريخ أن يكتبها بحروف من ذهب، حيث يقول له: "إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا تقصفن شجراً مثمراً ولا نخلاً، ولا تحرقها، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن وتغلل". (حجّاب، 1999، ص. 135) وما زاد هذه الصور نظارة وجمالاً، تقعيد الشريعة الإسلامية لقواعد فقهية عامة، تدخل في ضبط التعامل الرشيد مع البيئة، ونذكر من هذه القواعد:

أ- قاعدة "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"، حيث توضح هذه القاعدة المقصدية الجزم بحرمة التعدي على البيئة، لو كان ذلك لجلب مصلحة أو منفعة عن طريق هذه الصناعة التي تلوث البيئة، لأنه إذا تعارض في فعل معين، درء مفسدة وجلب مصلحة، قدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

ب- قاعدة "ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب"، نعلم أن الإسلام جاء لحماية المقاصد أو الكليات الخمس، التي من بينها حفظ النفس، فحفظ النفس واجب والفساد البيئي مضر ومهلك للنفس، فتحريم الإفساد البيئي واجب لضمان حفظ النفس الذي هو واجب لذاته.

ج- قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"، هذه القاعدة تؤكد عدم الإضرار، وخاصة عبر الفساد البيئي الذي يلحق ضرراً بالتوازن البيئي، وبذلك هو ممنوع شرعاً.

فمن خلال هذه القواعد الأصولية المقاصدية، ينضبط الفرد المسلم، إلى جانب ثقافته البيئية الإسلامية المستمدة من العقيدة الإسلامية، ليورث لنا بيئة صالحة وسليمة.

3-2-2- تنظيف البيئة:

لقد عني الإسلام بنظافة البيئة عناية فائقة، تظل النموذج المثالي للبشرية، حيث نجد الشريعة الإسلامية الغراء، اعتبرت النظافة أو بالمصطلح الشرعي "الطهارة" جزءاً هاماً من عقيدة المسلم وإيمانه، بل اعتبرتها شرط الإيمان، وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**الطهور شطر الإيمان**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فإذا عبرت هذه المكانة عن شيء، فإنما تعبر عن مكانة نظافة البيئة في الشريعة الإسلامية، حيث جعلتها من مقتضيات الإيمان الواجبة.

وقد شددت الشريعة الإسلامية على من يسعى إلى تلويث الأماكن العامة ذات المصلحة العامة، ورتبت عليه أقصى العقوبات، إلى درجة ترتب اللعن عن عمله ذلك، وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**اتقوا الملاعن الثلاث**»، قالوا: يا رسول الله وما هي ؟ قال: «**البراز في الموارد، وعلى قارعة الطريق، وفي أماكن الظل**». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

وأما عن مجالات نظافة البيئة، فقد أولت الشريعة الإسلامية ذلك اهتماماً كبيراً في مختلف نواحي الحياة، ويمكن إيضاحها فيما يلي:

أ- النظافة الشخصية أو الفردية:

حيث حثت الشريعة الإسلامية المسلم على ضرورة نظافة بدنه وثوبه وطعامه وشرابه، ويستخلص ذلك من النصوص الشرعية المختلفة في هذا المجال، بداية بغسل أعضاء مخصوصة خمس مرات في اليوم على الأقل، كما أوجبت الشريعة الإسلامية الغسل، عند الحدث الأكبر، وهو غسل كل أعضاء الجسم، وهناك الأغسال المسنونة كغسل الجمعة والعيد وغيرهما، وقد تعددت تلك العناية حتى شملت نظافة المأكل والمشرب، وتنظيف الآنية، وكذا نهيه -صلى الله عليه وسلم- عن التنفس في الإناء عند الشرب، فمن الضروري المحافظة على مأكّل الإنسان ومشربه، عبر المحافظة على البيئة الزراعية بعدم تلويثها بالمبيدات، وعلى البيئة المائية كذلك.

ب- نظافة الطرق والأماكن العامة:

شملت عناية الإسلام بالبيئة، كل نواحي الحياة حتى الطرقات والأماكن العامة، فقد حرص الإسلام على نظافتها ونزاهتها من الملوثات، ونستشف ذلك من خلال التوجيهات النبوية الشريفة التالية:

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، قال: «**فإن أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حقه يا رسول الله؟، فقال: «**رد السلام وغض البصر، وكف الأذى**» أخرجه مسلم في صحيحه.

ويدخل في الأذى كما قال العلماء، تلويث الطريق بالأوساخ والقاذورات.

ونجد إمطة الأذى عن الطريق من الإيمان، وعن أبي هريرة قال: قال -صلى الله عليه وسلم- : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول «لا إله إلا الله» وأدناها إمطة الأذى عن الطريق**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فجعل إمطة الأذى من شعب الإيمان، ليلتزم المسلم بذلك ويكون سباقاً إليه ليتغني كمال الإيمان.

وعن الأماكن العامة للمسلمين، نجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بنظافتها ونحاشها عن تلويثها، فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... ونظفوا أفنيتهم، ولا تشبهوا باليهود». أخرجه الترمذي في سننه.

ونلخص من خلال نقطة تنظيف البيئة إلى منهج متكامل، وبرنامج عملي صالح لكل زمان ومكان في نظافة البيئة، والتي تتأتى من ثقافة بيئية مترسخة داخل المجتمع.

3-2-3- استثمار البيئة:

إضافة إلى البرنامج الإسلامي لنشر الثقافة البيئية، نجد الشريعة الإسلامية توسع من هذا التصور إلى أبعد الحدود، حيث تضع برنامجا عمليا أساسه الانتفاع من البيئة، واستغلالها الاستغلال الأمثل، وهذا عبر استثمار البيئة بكل عناصرها، دوام سلامتها، أو ما نستطيع التعبير عنه في وقتنا الحاضر بالتنمية المستدامة.

هذا الاستثمار البيئي اتضح عبر شريعة الإسلام في أمور عديدة، أبرزها قضية إحياء الأرض الموات، حيث حث الشرع المسلمين على إحياء هذه الأرض، باستصلاحها وزراعتها، وترغيب مصلحتها بالأجر من الله تعالى، وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافي (الطير) منها فهو له صدقة ». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

ويحفز المسلمين على ذلك، بأن تكون الأرض المستثمرة من طرف المسلم، ملكا له، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها ». أخرجه البخاري في صحيحه.

فهذا التحفيز بالأجر والتمليك، له من الأثر بما كان على التزام المسلم ومسؤولته في استثمار الأرض. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (رواه الترمذي).

لذلك عُدَّ واجب الاستزراع، وجها من وجوه واجب عمارة الأرض، الذي كلف به الله عز وجل الإنسان لما استخلفه فيها، لذا يعتبر هذا الأمر بالنسبة للمسلم بمثابة سفينة النجاة، فتجده يكاد ويجتهد في استثمار البيئة، من منطلق العبادة وتحقيق عمارة الأرض، لذلك نجد الرعي الأول يتسابق للفوز بهذا الأجر الوفير، حتى ظهر مشروع إسلامي رائد، لا مثيل له إلى قيام الساعة، وهو الوقف الإسلامي، فكان وقف الأراضي الخصبة، المزهرة بكل أنواع الثمار والأشجار والخضرة، وأحاطته الشريعة الإسلامية بجملة من الأحكام تجعل تلك الأرض بمثابة مستثمرة فلاحية نموذجية، يستفيد بها الصالح العام المسلم.

ونجد أن ثقافة استثمار البيئة بما توصي به الشريعة الإسلامية من الركائز الأساسية في نشر وترسيخ ثقافة بيئية لدى أفراد المجتمع، بما يضمن صيانتها وحمايتها والحفاظة عليها، خاصة من خلال ما يسمى في الحاضر بالتنمية المستدامة، أي بما يحفظ البيئة لنا وللأجيال القادمة، طالما انتهجنا هذا المنهج الرباني المحكم من خلال القرآن والسنة

الشريفة، وهذا ما يجب على المسجد أن يعمل عليه كنشر للثقافة البيئية، من خلال نشاطاته المختلفة وخاصة بما يليه الإمام من خطب ودروس وحلق في هذا المجال.

خاتمة

إن للتنشئة الاجتماعية الإسلامية دور كبير في تكوين الفرد المسلم ليكون عنصراً صالحاً فعالاً في المجتمع الإسلامي، لا سيما وأن هذه التنشئة تأتي من خلال مؤسسات وُكِّل إليها هذا الدور وعلى رأسها المسجد، الذي يعتبر من أهم مؤسسات التنشئة الإسلامية، لأنه يمثل أهم مكان لأهم شعيرة في الإسلام ألا وهي الصلاة، إضافة إلى ما يتصل بها من عبادات وشعائر دينية إسلامية أخرى.

ولمّا للمسجد من دور كبير في مجال التنشئة الإسلامية، فلا شك أن يكون له دور كبير في نشر الثقافة البيئية، التي تعتبر من أهم الثقافات في الدين الإسلامي، لأنها كما ذكرنا آنفاً تعبر عن بعد عقدي ديني عميق، لا سيما وأن الإسلام قد عنى البيئة أهمية كبيرة وربطها ربطاً وثيقاً بالجانب العقدي والإيماني للفرد المسلم.

ولمّا كانت البيئة من أهم المواضيع المطروحة في عصرنا الحالي لمّا وصلت إليه من تدهور واختلال، بسبب الاستغلال الممجي واللاعقلاني لها من طرف الإنسان، فقد جاء الإسلام بالبرنامج المثالي لكيفية التعامل معها وإيجاد الحلول اللازمة للمشكلات التي تواجهها، وذلك من خلال ما ذكرناه في هذا المقال، حيث كان المسجد كمؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية الأولى للقيام بهذا الدور والمتمثل في نشر الثقافة البيئية داخل المجتمع المسلم، وذلك على المستويين التصوري والسلوكي وهما الركيزتين الأساسيتين في نشر هذه الثقافة.

ويكون دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، من خلال مجموع أدوار جميع الأفراد القائمين عليه، بدءاً بالإمام وذلك من خلال الخطب والدروس وحلق العلم مُركّزاً على تبيان البعد العقدي والثقافي للبيئة، وأن من صانها وحفظها فقد أطاع الله تعالى لأنه هو من أمرنا بذلك، وإتباعاً للبرنامج الإسلامي في النهوض بالبيئة، من خلال كل النشاطات وغيرها، فإن المسجد يكون قد بدأ يخطو الخطوات الصحيحة في نشر وترسيخ الثقافة البيئية، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الإسلامية، وانطلاقاً من دور المسجد في نشر هذه الثقافة، وبالتعاون والتنسيق مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى في هذا المجال، نستطيع أن نحصل على مجتمع مثقف بيئياً، يتعامل مع البيئة بكل عقلانية ورحمة واحترام، انطلاقاً من البعد العقدي الذي يعتبر أهم ركيزة يستقي منها الفرد المسلم نماءه وتوازنه الروحي والثقافي، وصولاً إلى سلوك بيئي متزن ومنظم.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، 2001، مسند الإمام أحمد، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
3. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، 2002، صحيح البخاري، ط1، بيروت: دار بن كثير.
4. أبو عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، 1996، سنن الترمذي (الجامع الكبير) ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. الوشلي عبد الله قاسم، 1990، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
6. النجار عبد المجيد عمر، 1999، قضايا البيئة من منظور إسلامي، الدوحة: مركز البحوث والدراسات.
7. بوعبد الله غلام الله، (2008)، التربية البيئية في الاسلام، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المجلد 1، العدد 2، ص. ص 3 - 96
8. حجاب محمد منير، 1999، التلوث وحماية البيئة، ط1، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
9. زيدان زكي حسين، 2004، الأضرار البيئية وأثرها على الإنسان وكيف عالجها الإسلام، القاهرة: دار الفكر الجامعي.
10. كمال سليمان، 2005، البعد العقدي الإسلامي للبيئة و أثره في المحافظة عليها، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة، تخصص العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر.
11. مسلم بن الحجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، 2006، صحيح مسلم، ط1، دار طيبة.
12. معن خليل العمر، 2004، التنشئة الاجتماعية، ط1، عمان: دار الشروق.